جعفر الخليلي وتاريخ القصة العراقية

باسم عبد الحميد حمودي

يعرف المتابعون الاستاذ جعفر الخليلي واحداً من ابرز رواد القصة العراقية في نشأتها الحديثة الاولى في العقد الثالث من القرن العشرين، وقد ترك هذا القاص اثراً واضحاً في الكتابة القصصية وقد تجلى ذلك في المجاميع والروايات التي اصدرها ومنها رواية (في قرى الجن) التي تعد واحدة من الاعمال المهمة في ادب الرواية الحديثة لرؤيتها المتقدمة وبنائها الفني الحديث وافادتها من بنية الثقافة الشعبية.

ولد جعفر الخليل في مدينة النجف سنة ١٩٠٤ في بيت علم وادب وفي اسرة عرفت باهتمامها بالطب الشعبي، وعندما اكمل دراساته الأولى عين معلماً في مدرسة الحلة الابتدائية عام ١٩٢٤ ثم استقال من التعليم عام ١٩٣١ ليتفرغ لشؤون الادب والصحافة فاصدر جرائد (الفجر الصادق) عام ١٩٣١ و(الراعي) عام ١٩٣٣ التي الغي امتيازها فأصدر مجلة (الهاتف) الادبية الاسبوعية عام ١٩٣٥ واشتهر بها فقد جمعت (الهاتف) اليها الكثير من الادباء والكتاب من داخل العراق وخارجه وقد انتقل بها الخليلي الى بغداد سنة ١٩٤٩ واصدرها يومية سياسية لفترة ثم عاد الى شكلها الادبي الاسبوعي بعد ان لم يستطع الاستمرار في تمويلها لعدم وجود جهة متنفذة مادياً وسياسياً تدعم اصدارها.

حافظ الخليلي على هوية (الهاتف) الثقافية وكان عددها القصصي السنوي يلقى كل اهتمام في العراق وخارجه ويساهم فيه الكثير من ادباء القصة ومرتجميها حتى توقفت الهاتف عن الصدور عام ١٩٥٤ قسراً نتيجة لالغاء وزارة نوري السعيد امتيازات الصحف والدوريات.

انصرف جعفر الخليلي بعد هذا الى تأسيس (دار التعارف) للطبع والنشر ليتابع نشاطه الثقافي حتى هجرته من العراق مطلع الثمانينيات.

اصدر الخليلي اول قصة له عام ١٩٢١ بعنوان (التعساء) ومن كتبه (يوميات وقصة (الضائع) و(عندما كنت قاضياً) و(في قرى الجن) و(من فوق الرابية)، و(اولاد الخليلي) و(هكذا عرفتهم) بجزأين و(موسوعة العتبات المقدسة) و(نفحات من خمائل الادب الفارسي) و(ما اخذ الشعر العربي من الفارسية وما اخذ الشعر الفارسي من العربية).

اهتم جعفر الخليلي بتوثيق مسيرة القصة العراقية فأصدر عام ١٩٥٧ كتيباً تحت عنوان (القصة العراقية قديماً وحديثاً) اعتبره جزءاً اولاً توفر فيه على دراسة البدايات القديمة لفن السرد القصصي واضعاً لوط بن يحيى الشهير بابي مخنف في مقدمة القصاصين العراقيين ثم درس تأثير عبد الله بن المقفع وترجمته (كليلة ودمنة) على القصة العربية عموماً ثم نشاط ابن البهارية القصصي الشعري معتبراً عبد الملك بن قريب الاصمعي واحداً من ابرز الساردين القدامى متعرضا بعد ذلك في اشارات اولى الى القصة العراقية الحديثة التي تناولها في كتاب مستقل له بعنوان (القصة العراقية) درس فيه تجارب الكتاب الذين سبقوه امثال سليمان فيضي ومن كتبوا ضمن جيله امثال محمود السيد وعبد المجيد لطفي ويوسف رجيب وخلف شوقي الداودي وسواهم

هاجر جعفر الخليلي من العراق بسبب المضايقات التي تعرض لها واسرته من السلطة نتيجة للحرب العراقية الايرانية وظل غريباً عن وطنه حتى وفاته رحمه الله في تسعينيات القرن الماضي ويعد كتابه الذي نقدم جزءاً منه في (ذاكرة) لونا من التأريخ للقصة القديمة في العراق واستذكاراً للبناء السردي الاولي فيها.

القصة شفاها وعند اختراع الكتابة

عرف الإنسان القصة مذ عرف نفسه، فهي مرآة تعكس كل حركاته وسكناته، وافكاره، وميوله، فلا يمكن ان يولد الإنسان ولا تولد معه حكايته، ولا يمكن ان تكون له عينان تنظران ولا تنقل هاتان العينان للذهن ما يمر عليهما من الضوء، أو ما يوحي الذهن به الى سائر الجوارح، فتعلنه محكياً على صفحة اللسان: قصة مهمة أو تافهة، تبعاً لظروفها وعناصرها، وكذلك تفعل الحواس الاخرى ومجموعة القوى التي تدفع الإنسان لان يتحرك ويعمل، وتفعل كما تفعل العينان في نقل الضوء من الوجود الملموس او غير الملموس، وتبعث به قصة من حياته الواقعية بجدها، وهزلها، وصدقها وكذبها.

وقبل ان يهتدي الإنسان الى الكتابة، كانت القصة مسطورة على الواح الذهن يقرأها أحدهم للآخر من ذهنه، ويتناقلها الابن عن الاب، عن الجد، ولا تزال الى اليوم وبعد اكتشاف الكتابة بما يقرب من أكثر من ٤٠٠٠ سنة والناس يتناقلونها قصصاً على ألسنتهم، وربما قد مر على بعضها بضع مئات من السنين وهي تروى على الالسنة فما عن فم، دون ان تسجل على الورق، ولو تصدى اليوم قاص الى تلك القصص التي لم تسجل بعد، لأتى لنا بعدد من المجلدات التي تفوق الحصر والعد مما بقي في الذهن من كل لون، فكيف بالذي انطوى من القصص مع انطواء الزمن لعدم اهميته، نظراً لسذاجة الحياة المتوغلة في القدم، وعدم رسوخها في الذهن الى جانب المهم من الحوادث والقصص؟

عند اكتشاف الكتابة

واستعملت الكتابة لتسجيل ما يخشى من شروده أو ما يراد نقله من كل شيء أعم من القصة والكتابة، لنقله من جهة الى جهة لا يتم النقل اليها الا بالكتابة، وعلى قدر ما اوتيت كل طائفة من وسائل التطور، والمعرفة وانتشار الكتابة استقامت القصة، ورسخ بنيانها، وتوفرت عناصر القوة فيها لتكون مرآة صادقة تعكس الحياة بدقائقها، وجزيئاتها، ومعالمها، ومجاهلها، لذلك تفاوت كل قطر في معرفة القصة، وقيمتها واهميتها سماعاً وقراءة وكتابة على قدر تفاوت الوسائل، والعناصر والاسباب التي تدني القصة من الغاية أو تبعدها، وتلك امور لاتحتاج الى شرح ولا أمثلة.

ولقد وردت في الآثار القديمة مما كتب على جدران الآشوريين والبابليين وعلى البلاطات، وعلى البردي، بين آثار المصريين، والآثار الفارسية في شيراز وعيلام، وما عثر عليه بين آثار اليونان والرومان، وما جاء في الياذة هوميروس واوديسته. لقد وردت قصص تختلف اهميتها باختلاف العصور والازمان، ووسائط التقدم، ولا أدل على مرافقة القصة لتاريخ الإنسان من التوراة، والانجيل، وقد كونت القصة جانباً كبيراً منهما، واتسعت آفاقها حتى كان مجال الخيال والتصور، وقوة السبك، والنسخ، واسعاً كل السعة، والى التوراة يعزى أول بناء للقصة، واول مظهر من مظاهرها الكاملة بالنسبة لتلك العصور وطرز معيشتها وتفكيرها واتساع مخيلتها.

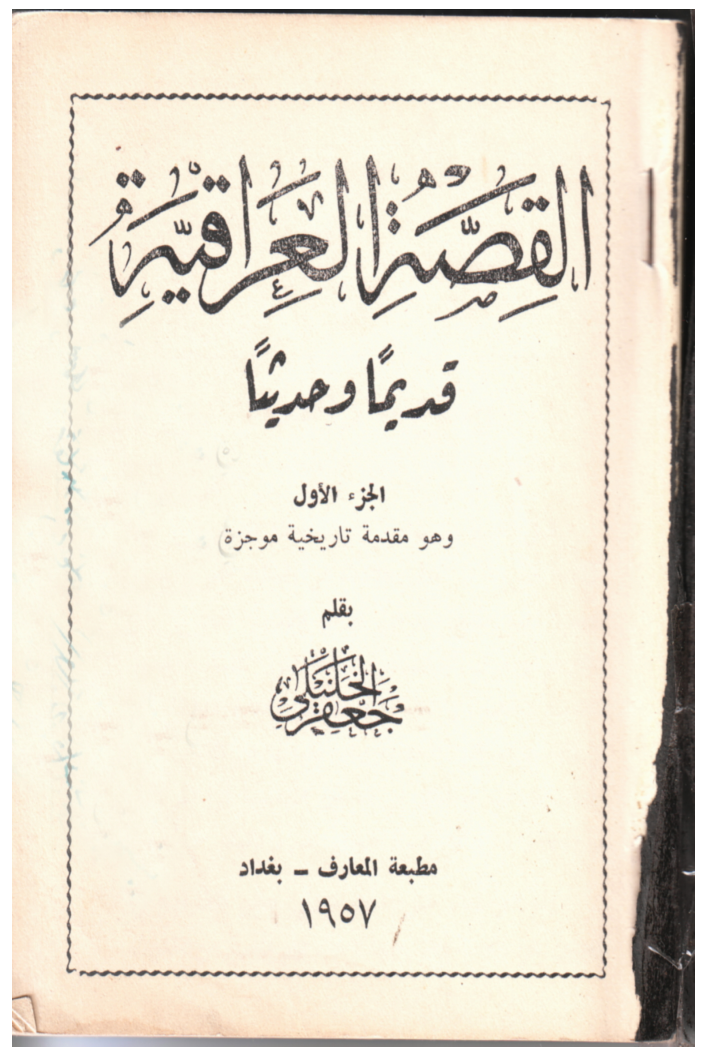

أقدم مصادر القصة العربية

يخطئ المؤمنون بخلو التاريخ العربي القديم من القصة، فالقصة –بناء على ما مر– لا يمكن ان تخلو منها امة من الامم، وكل ما في الامر هو ان الوسائل لبثها وتسجيلها كانت معدومة في التاريخ العربي القديم فتأخر ذلك الى العصور الاسلامية التي تم فيها جمع ما امكن جمعه ضمن مواضيع عامة، مختلفة، ومع ثبوت ذلك، فقد ظل البعض من علماء الادب يعتبر هذا النوع شيئاً آخر غير القصة، ويعده من جملة العروض التاريخية غير ملتفت الى وجود العناصر التي تؤلف القصة الكاملة في الكثير من هذه القصص.

واول مصدر للقصة العربية كان القرآن الكريم، فقد جاء بالقصة واضفى عليها من جمال البلاغة والادب شيئاً كثيراً، والقرآن خير دليل على وجود القصة عند العرب، والفرق بين قصة الامس وقصة اليوم، هو ان القصة بالامس بوجه عام كانت تحكى بصورة تغاير حكاية القصة اليوم، فكان بعضها قصة كهذه القصص المتعارفة، وبعضها اشبه بالمثل السائر او الشاهد العابر، او العرض الذي يعرض به التاريخ وتسجل به الحوادث منها بطرز القصة المألوفة عندنا اليوم ولكن ذلك لا ينبغي ان يجردها من مزايا القصة كما لم يجرد الشعر القديم، والنثر، والخطابة، والرسائل من مزايا الشعر، والنثر، والخطابة والرسائل لمجرد هذا التغاير الحاصل والمفاهيم الخاصة للشعر، والنثر في هذا اليوم، فهو شعر، وهو نثر لا يمكن ان يكون غيرهما شعراً ونثراً في تلك العصور، وهي قصص لا يمكن ان تكون القصة شيئاً آخر غيرها في ذلك العصر.

اقدم مصادر القصة العربية

وتعتبر كتب السيرة النبوية اقدم مصادر القصة العربية بعد القرآن الكريم، سواء تلك السيرة المختصرة التي جمعها– في القرن الاول الهجري، واوائل القرن الثاني الهجري امثال –ابان بن عثمان بن عفان– وعروة ابن الزبير او السيرة النبوية التي جمعها –الواقدى– وابن هشام– وابن سعد، في الطبقات في القرن الثالث، وللاسلام الفضل الاول والاكبر في تغذية القصة العربية وتقويمها بما اضفى عليها من التفكير الجديد والمعاني الجديدة وعبوره بها الى ما وراء الطبيعة، والتحدث عن الغيب والاخرة وقيام الساعة.

ابو مخنف لوط بن يحيى ..القصاص العراقي الاول

القصاص الاول

اما اول عربي يجدر ان ينعت بالقصاص بحق فهو لوط بن يحيى بن مخنف الازدى المكنى بابي مخنف من ابناء القرن الاول الهجري وقد مات سنة ١٥٧هـ.

وجاء ذكره في معجم الادباء انه– كان راوية اخباريا صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الاسلام قال يحيى ابن معين هو كوفي.

وقال ياقوت– وجدت بخط احمد بن الحارث الخزاز قال: قالت العلماء ابو مخنف بامر العراق وفتوحها واخبارها يزيد على غيره.

وروى ابن النديم نفس هذه الرواية واحمد بن الحارث والخزاز ترجم له ياقوت في معجم الادباء قال– كان راويا مكثراً موصوفاً بالثقة وكان شاعراً– مات سنة ١٥٧ هجرية وكان ينزل في باب الكوفة ودفن في مقابرها.

قال محمد بن اسحاق: لابي مخنف من الكتب –كتاب الرد– كتاب فتوح الشام، كتاب فتوح العراق، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب النهروان، كتاب مقتل على كرم الله وجهه، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب مقتل محمد بن ابي بكر والاشتر، ومحمد ابن ابي حنيفة، كتاب الشورى ومقتل عثمان، كتاب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، كتاب المختار بن ابي عبيد، كتاب وفاة معاوية، وعدد ٣٣ كتاباً من مؤلفاته.

ويظهر مما بقي من آثار هذه الكتب التي ضمتها بطون التأليف الشهيرة ان معظم هذه الكتب عبارة عن قصص من نوع الدراما، واغلبها قصص تراجيدية محزنة ألفها ابو مخنف من مختلف ما سمع باذنيه من اصحابها، وابطالها مباشرة، او بالواسطة، فصاغها صياغة ذلك العصر للقصة، فدخلت في باب الروايات، والاخبار، والاحاديث، ولم تكن القصة مألوفة بهذا المعنى لتسمى قصة.

وفي قصص ابي مخنف اختلاف من حيث صحة البعض مما يروى وعدم صحته، وقد وثقه البعض ولم يوثقه الاخرون، كما اختلف في مذهبه الكثيرون وقد اشار الى ذلك عدد من المترجمين.

والذي يقرأ شيئاً من قصص ابي مخنف يؤمن بأن الذين شكوا فيما يروى محقون اذا كان ذلك من رواياته وعلى انه من الجائز ان لا تكون للرجل يد في هذه الروايات اذ هو يسجل كلما يسمع به، خصوصاً وقد قيل عن كتابه– مقتل الحسين– انه وضعه وهو اعمى وكان يتسقط اخبار الحسين بباب الكوفة فيجمع كلما يسمع به حتى كان منه (مقتل الحسين) وهذا القول على شهرته لم نعثر له على اساس.

نقول وعلى انه من الجائز ان لا يكون لابي مخنف دخل في كل ما ورد من زيادات في قصصه، وعلى انه من الجائز ايضاً ان يكون للنقل– وتداول الايدي في التحوير والزيادة فيما عثر لابي مخنف من آثار طوال الازمنة، وهي في بطون امهات الكتب العربية– شأن في ضعف رواياته وما تتخللها من اضافات، وخيال، فاننا نعتقد بناء على تشبع روح ابي مخنف بالفن القصصي، وبناء على تمكن هذا الفن منه كل هذا التمكن الذي يجعل اغلب مؤلفاته قصصاً مستقلة بمواضيعها، وحوادثها، واسلوب سردها، نقول اننا نعتقد انه هو نفسه الذي كان يزيد وينقص في سرد حوادث القصة، ذلك لاتساع مجال خياله كقصاص، ولاشباع روحه الفنية التي تستدعي منه المزيد من الوصف، والمبالغة، واجتياز الحد، والمغالاة في عرض الحوادث لاستهواء القراء وفقاً لمفهوم الرواية الكاملة في ذلك العصر، ولا منافاة عندنا بين هذا الوضع وبين تتبع الرجل حوادث رواياته تتبع من يريد الوقوف على صحتها كما فعل في جمعه شعر الامام ابي عبد الله الحسين فقد جاء في كشف الغمة:– قال ابو مخنف لوط بن يحيى "اكثر ما يرويه الناس من شعر سيدنا عبد الله الحسين انما هو ما تمثل به، وقد اخذت شعره من مواضعه، واستخرجته من مظانه، واماكنه، ورويته عن ثقاة الرجال منهم عبد الرحمن بن نجية الخزاعى، وكان عارفاً بأمر اهل البيت عليهم السلام، ومنهم الحسيب بن رافع المخزومي، وغيره رجال كثيرون ولقد انشدني يوماً رجل من ساكني سلع هذه الابيات فقلت له اكتبها فقال لي: ما احسن رداءك هذا وكنت قد اشتريته يومذاك بعشرة دنانير فطرحته عليه فاكتبنيها الخ..

وليس ابو مخنف اول قصاص عراقي فحسب، بل هو اول قصاص عربي لم يعرف قبله احد انبرى الى القصة يجمع موادها من هنا وهناك، يبدأ بها من نقطة معينة، وينتهي بها في نقطة معينة، شأن القصاص فيما يفعل ليخرج القصة التاريخية، وقد احاطت بجميع الاغراض والحوادث دون ان تفوته شاردة ولا واردة، وعندنا ان الادب العربي قد تأثر بهذا القصاص الى حد بعيد جداً، ولا سيما في –مقاتله– وقد اورد له –الطبري– في تاريخه كثيراً من هذه القصص.

ومقتل الحسين من اشهر كتبه التي تقرأ في العشرة الاولى من المحرم في كثير من الاقطار الاسلامية، وعلى الاخص العراق، منذ القرن الثاني للهجرة حتى هذا اليوم، وقصة هذا المقتل يحفظها كثير من خطباء المآتم الحسينية ويلتزم البعض بقراءة هذا المقتل من ألفه الى يائه في اليوم العاشر من المحرم طلباً للثواب، ولا يقوم اغلب سامعيها الا وقد جفت عيونهم من كثرة البكاء، ولربما تكون تلك المأساة قد تركت في نفوسهم آثاراً عميقة كل العمق، على الرغم من ذلك الحشو الذي ضعضع الثقة بروايات ابي مخنف اذا صحت انها رواياته الشخصية.

أثر كليلة ودمنة في القصة الحديثة

تعتبر ترجمة كليلة ودمنة اول حدث في عالم القصة العراقية قام به عبد الله بن المقفع وهو كتاب وضعه (بيدبا) الفيلسوف الهندي (لدبشليم) ملك الهند على ألسنة الحيوانات وقد ترجمه ابن المقفع من اللغة الفهلوية– ويعتبر ان المقفع صاحب رسالة مستقلة في الادب العربي وهو اوسع من عرف في ذلك العصر خيالاً وامتلاكاً للفنون الادبية وعلى الاخص فن القصة.

قال ابن النديم:

"وكان قبل ذلك يعمل الاسمار والخرافات على السنة الناس والطير والبهائم: جماعة منهم عبد الله ابن المقفع، وسهل ابن هرون، وعلي بن داود، وكاتب ربيعة وغيرهم".

وهو وان قتل سنة ١٤٣ ومات قبل ابى مخنف بنحو ١٤ سنة فأكبر الظن ان بعض قصص ابي مخنف قد وضعت قبل ترجمة كليلة ودمنة، وسواء كان هذا وغيره فلن يغير ذلك من رأينا في اعتبار ابى مخنف القصاص الاول، ذلك لان فن القصة هو بعض ما طبع به عبد الله بن المقفع بينما هو كلما عرف به ابو مخنف، ولكن الذي تركته ترجمة كليلة ودمنة في الادب العراقي اولاً، ثم الادب العربي والآداب العامة، من الاثر كان يؤلف موسوعة كبيرة من الادب الجديد المشحون بالافكار والآراء الادبية المبتكرة فضلاً عن اثرها في اسلوب الانشاء واعتبارها الحافز الاول، والقاعدة الاساسية للتعويل على الخيال على قدر الحاجة التي يقتضيها الفن في بناء القصة وقد اصبحت كليلة ودمنة مادة خصبة للمواعظ، والمسامرات، وقتل الوقت، والمتع الادبية، ومن طريق العراق، ومن طريق اللغة العربية، انتشر هذا الكتاب في العالم.

وابن المقفع بصري النشأة وفي ترجمته للكتاب كثير من المواقف التي تدل على تصرف ابن المقفع في الاصل تصرفاً ينم على البيئة والعقيدة الاسلامية ولا يبعد ان يكون قد غير وبدل في الاصل حتى يخرج الكتاب ملائماً لعصره واهدافه، وهو عمل يدل مرة اخرى على بلوغ فن القصة منه مبلغاً عظيماً.

وقد اشار الاستاذ احمد امين في (ضحى الاسلام) الى أثر هذه القصة في الادب العربي في بحث مطول نجتزئ منه هذه النبذة:

"وقد كان لكتاب كليلة ودمنة أثر كبير في الادب العربي وفي غيره من الآداب وعني الناس به عناية كبرى، وحذوا حذوه، من ذلك ان كثيرين نظموه نعرف منهم –ابانا– اللاحقى ولكن لم يصل الينا من نظمه الا القليل".

ويبدو ان الاستاذ احمد امين لم يكن قد اطلع بعد على النسخة التي عثر عليها من منظومة ابان بن عبد الحميد وقد اشار اليها الدكتور الرفاعي في كتابه عصر المأمون، ثم نظمها ابن الهبارية باسم –نتائج الفطنة– ويذكر ابن الهبارية في ترجمته انها خير من ترجمة ابان وله نظم ثالث اسمه –دور الحكم في امثال الهنود والعجم– اكمله عبد المؤمن بن الحسين الصاغانى، وحذا حذوه، من ذلك ان كثيرين نظموه نعرف منهم –ابانا– اللاحقى ولكن لم يصل الينا من نظمه الا القليل".

، وحذا حذوه كتاب كثيرون، وألف ابن الهبارية على منواله –كتاب الصادح والباغم– وكذلك ألف على منواله كتاب– سلوان المطاع في عدوان الطباع –لابي عبد الله بن ابي القاسم القرشي المعروف بابن ظفر، المتوفى سنة ٥٩٨هـ صنفه لبعض القواد بصقلية وكذلك ألف على هذا النسق ابن عربشاه كتابه (فاكهة الخلفاء ومناظرة الظرفاء) وكتابه –مر زبان نامه– الذي ترجمه عن الفارسية.

ويذكر –كشف الظنون– ان ابا العلاء المعري الف كتاباً اسمه –القائف– على مثال كليلة ودمنة وهو في ستين كراسة ولم يتم، وان له كتاب –منار القذائف– يتضمن تفسيره في عشرة كراريس.

وفي رسائل –اخوان الصفا– رسالة في المناظرة بين الحيوان والانسان لا تخلو من لون من الوان كليلة ودمنة بل يظن (كولد زيهير) ان اسم اخوان الصفا مقتبس من كلية ودمنة اذ ورد الاسم في اول فصل –الحمامة المطوقة–.

وباختصار فقد كان لكليلة ودمنة كل التأثير في توجيه الادب توجيها قصصياً عاماً وان تغلب عليه لون خاص وهو نسج القصة على ألسنة الحيوانات، وقد بلغ من اهتمام الطبقة الحاكمة والوزراء والامراء به بحيث كانوا يثيبون الذين يجارونه ويؤلفون على نمطه وكان ابان بن عبد الحميد وهو من البصرة قد نظم كليلة ودمنة في القرن الثاني اجابة لطلب البرامكة وقد نظمه في اربعة عشر الف بيت في ثلاثة أشهر!! وصدره بهذا البيت:

هذا كتاب ادب ومحنه
وهو الذي يدعى كليلة دمنه

وقد أثيب على ذلك بعشرة آلاف دينار من يحيى بن خالد البرمكي وبخمسة آلاف من الفضل بن يحيى ولم يعطه جعفر بن يحيى شيئاً وقد قال له/ يكفيك ان احفظه فأكون راويتك"، وفي هذا ما فيه من الدلالة على الاهتمام بهذه القصة وما جر هذا الاهتمام الى العناية بالقصص الاخرى.

وابن الهبارية هو ابو يعلى محمد بن محمد الملقب بنظام الدين البغدادي المتوفى في آخر القرن الخامس في سنة ٥٠٤هـ على ما يروى، وقد سمى منظومته (نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة)، وبان فيه ما ترك كليلة ودمنة من منافسة ادبية فضلاً عن توجيه الافكار الى الفن القصصي، فقد جاء في مقدمة نتائج الفطنة، من روح التحدي الادبي والمنافسة ما يلي:

كلت طباع القوم دون نظمه
وعجزوا عن سبكه لعظمه
الا –ابان– اللاحقى الكاتب
فانه في نظمه لغالب
ثم ابو يعلى انا فاني
نظمته بالجهد والتعنى
متبعاً فيه ابان اللاحقي
وليس وهو سابقي بلاحقي
فان يكن اقدم مني عصرا
فانني احسن منه شعرا
الخ....

وكتاب –الصادح والباغم– الذي نظمه ابن الهبارية على اسلوب كليلة ودمنة واهداه الى الامير ابي الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي خير دليل لما بلغ مفعول هذه القصة –قصة كليلة ودمنة– في توجيه الادب نحو القصة وترسيخه ترسيخاً قوياً خصوصاً اذا علمنا ان العناية بلغت بوضع قصة –الصادح والباغم– ان قضى ابن الهبارية في نظمها عشر سنوات وهي لا تزيد على ألفي بيت وقد جاء في مقدمتها:

بيوتها ألفان
وكلها معاني
قضيت فيها مدة
عشر سنين عده
الخ...

فكانت كليلة ودمنة هي العامل الاول والاكبر في بناء القصة العراقية بل القصة العربية واليها يرجع الفضل في لفت الانظار الى القصة بمفهومها العام وسبكها القصصي الخالص.

القصة في العراق والفنون الادبية الاخرى

اصاب العراق كثير من الحيف بسبب اختلاف ايدي حكامه عليه وانتقاله من يد الى يد، ومروره بفترات مظلمة ورد ذكرها في التاريخ بصورة مفصلة، فنال ذلك الحيف كل مظاهر الحضارة ومن جملتها القصة وطرأ عليها ما طرأ على الفنون الادبية الاخرى من فتور وضعف جعل البون بينها وبين قصص العصر العباسي شاسعاً من حيث اللون والصورة والحيوية والفكرة.

ولم يبق للقصة الا لمحات في بعض كتب الرحلات او المجاميع المعروفة –بالكشاكيل– التي كثر وضع امثالها في القرنين الحادي عشر والثاني الهجري، ككشكول الشيخ البهائي، وكشكول الشيخ يوسف، وبعض كتب النوادر والنكت الصغيرة والطرف الادبية التي اشرنا اليها من قبل فيما اذا جاز لنا ان نعتبرها ضرباً من ضروب القصة، وخير مثل جامع لتلك القصص كان –العقد المفصل– للسيد حيدر المؤلف في اواخر القرن الثالث عشر الهجري.

والذي اصاب ادب العراق واصاب القصة في الفترات المظلمة كان قد اصاب الاقطار العربية الاخرى، ولكن الفرق بين العراق وبينها هو ان تلك الاقطار– وفي مقدمتها لبنان ومصر– تنبهت قبل العراق الى تفهم ادب القصة الحديثة وتذوق معانيها، والاقبال عليها وذلك منذ ان تم لها الاتصال بالثقافة الغربية عن طريق البعثات العلمية الموفدة الى الغرب او البعثات التبشيرية الموفدة الى الشرق، والتأثر بحركة التجديد التي كانت تنقلها الصحف الغربية والتي قامت بأهم ادوارها الجامعة الاميركية بيروت التي يجب ان تعتبر الركن الاول في نهضة الاقطار العربية الفكرية، واتسعت حينذاك بسبب هذه العوامل حركة الترجمة وخرج مفهوم الادب ومفهوم القصة بوجه خاص عن ذلك النطاق الضيق، واخذ الكثير يعالج القصة في جو بعيد عن الجو العربي القديم، وفي نمط قريب من النمط الغربي الحديث، ولم تعد هذه الاقطار تكتفى بما كانت تتناقل من قصص قديمة وحديثة على السنتها في مجالس السمر، او على السنة المتحدثين بها في المقاهي اولئك الذين كانوا يمارسون هذا الفن لقاء مبلغ يجمعونه من رواد المقهى او يتقاضونه من اصحاب المقاهى كما مرت الاشارة الى ذلك، بل عمدت تلك الاقطار الى تدوين مسموعاتها ومرئياتها ونظرياتها في كتب مستقلة تختلف عن وضع –الكشاكيل– والمجاميع التي كانت تضم القصة الى الشعر، وتجمع بين النظرية الهندسية الى الفذلكة الادبية في كتاب واحد.